# وسواس الدقائق الخمس

قصة بقلم عادل أبو شنب

ـ الدقيقة الاولى ـ

خصنا النادل الشاب باهتمام مبالغ فيه ، فارتبت ، وبدا لي الطعام سيئا ، حتى انني تركت في الطبق كمية اللحم المحمر كما جيء بها . كنا بدأنا بحساء الدجاج الساخن ، وانتهينا بالفاكهة ، ثم رحنا ندخن ، ونحن نرنو الى الطريق عبر الزجاج الابيض النظيف .

ولم أخف ارتيابي ، فضحك صديقي أنور ، وقال :

ـ .. انه يطمح في بعض الفرنكات ليس الا .

ونهرته :

ـ انت طيب اكثر مما يجب .

ـ الدقيقة الثانية ـ

كانت السماء زرقاء ، والناس يتسكعون ، وهم يحملون في عيونهم همومهم اليومية . وفي الطريق الى الفندق وقفنا نتفرج على واجهة حانوت خاص بالساعات السويسرية . كنت أريد أن أحمل الى زوجتي هدية مسافر غاب طويلا في العاصمة . حرت ماذا أختار ، وشاركني صديقي في الاختيار والحيرة ، وتجادلنا ، وأسهم في الجدال ، فجأة ، كهل في الاربعين ، كان قد وقف يتفرج كما نتفرج ، وقال وهو يشير الى ساعة نسائية جميلة :

ـ ان شئتما رأيي .. هذه أجمل الساعات .

ابتسم صديقي ولم يتكلم ، وعبست في وجه الكهل الغريب ، وجررت أنور من كمه ، وسرنا .. تشيعنا دهشة خيل اليّ انها مصطنعة .

قال صديقي :

ـ عجيب أمرك ..

قلت :

ـ تطفل في غير محله .

قال :

ـ قد يكون كذلك ، لكنك تصرفت بفظاظة .

قلت :

ـ لا أحب الغرباء .

قال :

ـ لم يفعل شيئا .

قلت :

ـ من يدري ، قد يكون له شان آخر معنا . هذه مدينة مخيفة يا أنور .

ـ الدقيقة الثالثة ـ

يمر طريقنا الى الفندق بحديقة جميلة يرتادها الآلاف كل يوم ، وكنت أحب أن أجلس ، ولو لمرة واحدة ، على مقعد من مقاعدها ، كما يفعل الناس ، وعندما أفصحت لصديقي عن رغبتي .. وافق على الفور .

تبادلنا ، ونحن نجلس ، حديثا حارا عن النساء والغربة وأخبار الصحف ومطاعم الدرجة الاولى ، ولم نتحدث ، كعادتنا ، في السياسة. كنت أستمتع بجلستي هذه ، حتى لاح من بعيد من توهمت انه الرجل نفسه الذي تطفل على وقفتنا امام بائع الساعات . وخيل اليّ انه جلس على مقعد وراء خميلة بعيدة ، بحيث يرانا ولا نراه ، وكبر الوهم في رأسي ، فتذمرت علنا ، ورفع صديقي حاجبيه من الحيرة ،وقال:

ـ ما بالك ؟

قلت :

ـ أشعر اننا مراقبان .

قال وهو يبتسم :

ـ لماذا ؟

قلت :

ـ لا أدري . احساسي لا يخطئني يا صديقي .

وانصرفنا ، ورحت ألتفت الى الوراء بين الحين والآخر ، لاتأكد من ان ما بدا لي انه حقيقة ليس سوى وهم طارىء ، وعاد الحبور الى عينيّ ، فابتسمت ، ورحت أتحدث بطلاقة لا تنسجم مع ما كنت عليه قبل قليل ، الا ان الغيوم سرعان ما عادت الى عينيّ عندما استوقفنا عجوز ذو سحنة باردة ، وراح يمعن النظر فينا ، قبل أن يطلب عود ثقاب ، يشعل به سيجارة آخرجها من جيبه في بطء . وفي حين لباه أنور على الفور ، ابتعدت عدة خطوات ورحت أرقب العجوز بحذر ، ولست أدري لماذا فكرت بأن اشعال السيجارة ليس سوى حيلة فجة .

وقلت لصديقي :

ـ كان من الافضل أن تهمله ..

قال مستغربا :

ـ .. مجرد اشعال سيجارة .

قلت :

ـ يا رجل ، كأن يتفرس في وجهينا كمن يريد أن يحفظ قسماتنا عن ظهر قلب !

ـ الدقيقة الرابعة ـ

لاحقنا ، على بعد خطوات من الفندق ، مراهق مهلهل الثياب ، وطلب فرنكا ، فلم نرد ، وراح يلح إلحاحا يثير الاعصاب ، وتطوع صديقي فأنبه ، في حين كنت أتفحصه بحذر . وعلى باب الفندق احتوتنا نظرات ماسح الاحذية الذي اعتاد على الجلوس هناك . وفي البهو كان ثمة عشرات يحدقون الينا بنهم ، وأمام باب الغرفة ظهرت الخادم الشابة التي تنظف دورة المياه ، وراحت ترمقنا ، وعلى شفتيها ابتسامة غامضة .

وقلت لصديقي :

ـ لم أعتد على رؤيتها في مثل هذا الوقت .

وقال صديقي مازحا :

ـ لعلها غيرت عاداتها .

ـ الدقيقة الخامسة ـ

قبل أن أضطجع على سريري ، طفت في أرجاء الغرفة ، ورحت أتفحص كل زاوية فيها . جربت الهاتف والتجرس والمصباح والمروحة الكهربائية ، ونظرت الى كل نتوء بامعان . وعندما اكتشفت ان ليس ثمة ما يقلق .. وضعت رأسي على المخدة ، واغمضت عينيّ ، ورأيت فيما رأيت أشباحا وهياكل عظمية وكاميرات تصوير دقيقة ، وعيونا تملأ الشوارع ، وتهطل كأنها المطر من السماء ، وكلابا بوليسية مدربة ، واصدقاء في ثياب لاعبي السيرك ، ومدنا تتلاشى ، وشفاها لا تفتر عن الهمس ، ورجالا ذوي أعناق طويلة ، يطلبون اليّ أن أجمع حقائبي ، وأمضي معهم .

دمشق — عادل ابو شنب